ثلثاء الكليّة
2024 – 2023
لاهوت الجسد

جامعة القدّيس يوسف في بيروت
كليّة العلوم الدينيّة

مقاربة أخلاقيّة

الجسد كهيكلٍ للاحتفال بقدسيّة الحياة الجنسيّة

على وقع غيريّة لا تُختَزَل

الخوري إدغار الهيبي
بروفّسور اللاهوت الأخلاقي وأخلاقيّات علوم الحياة
جامعة القديس يوسف في بيروت

1. الإشكاليّة والمسائل المطروحة

الإشكاليّة

ماهيّة جسد الإنسان (ما هو؟)،

كيفيّة التعامل معه، وشرعيّة التصرّف فيه وبحقّه.

بعض المسائل المطروحة

الحياة الجنسيّة، الجراحة التجميليّة، الإنجاب الاصطناعي، الأبوّة والأمومة والبنوّة، وهب الأعضاء، الهويّة الجنسيّة، المثليّة الجنسيّة، الجندريّة، تجميد الكائن البشري، الاستنساخ، العلاج الجيني، الهويّة الجينيّة، إلخ.

2. تأطير المقاربة الأخلاقيّة

- **صعوبة معالجة الموضوع بدون اعتبار:**
  - المنطلقات الأنتربولوجيّة والكتابيّة واللاهوتيّة (والعلميّة والفلسفيّة)
  - هويّة الإنسان وأبعاده الجسديّة والروحيّة والنفسيّة

- **خصوصيّة المقاربة الأخلاقيّة تكمن في دراسة:**
  - الفعل البشري بحدّ ذاته، الفردي والجماعي،
  - والوضعيّة الدافعة لتحقيقه،
  - والمنظومة التشريعيّة الصالحة لقياسه (المنطلقات القناعاتيّة والقيم والمبادئ والقواعد).

2.أ. خصوصيّة المقاربة الأخلاقيّة

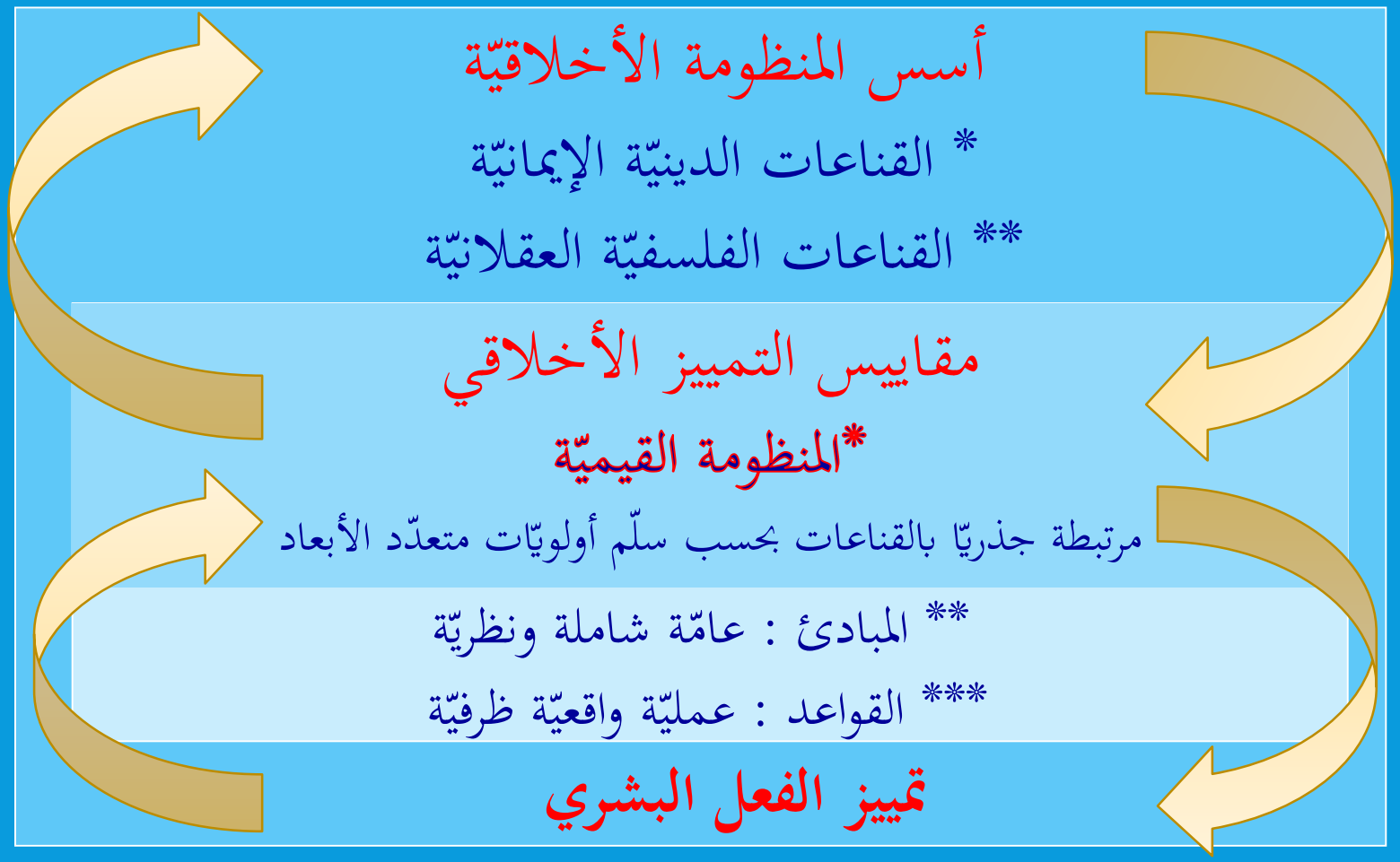

2.ب. تمييز المسائل الأخلاقيّة انطلاقًا من لاهوت الجسد

القناعات اللاهوتيّة: الإيمانيّة والعقلانيّة

الخلق – التجسّد – العهد

الطبيعة – الثقافة

المنظومة القيميّة

الجسد – الحريّة – كرامة الشخص البشري – الحقيقة – المعنى

المبادئ والقواعد

الحياة الجنسيّة، الجراحة التجميليّة، الإنجاب الاصطناعي، الأبوّة والأمومة والبنوّة، وهب الأعضاء، الهويّة الجنسيّة، المثليّة الجنسيّة، الجندريّة، تجميد الكائن البشري، الاستنساخ، العلاج الجيني، الهويّة الجينيّة

3.أ. وحدة الشخص البشري

- خلق الله الإنسان في وحدة نفس وجسد. "فالشخص، ومن ضمنه الجسد، موكلٌ بكلّيّته إلى ذاته، وهو ذاتيّة مالكة (sujet) لأفعالها الأخلاقيّة بفعل وحدة النفس والجسد" VS, 48
- يوحّد الإنسان في ذاته، بفعل جسدانيّته (corporéité)، عناصر العالم المادي، التي تجد فيه ذروتها وتُصعِد صوت تسبيحها الحر إلى الخالق.
- يمتلك الإنسان إذًا خاصيّتين مختلفتين: فهو كائن مادي، مرتبط بهذه الدنيا عبر جسده، وهو كائن روحي، منفتح على السماوات وعلى اكتشاف حقيقة أعمق بواسطة عقله الذي به يشارك في نور العقل الإلهي.

3.ب. حريّة الشخص البشري

- لا يستطيع الإنسان أن يتوق إلى الخير إلّا بالحريّة التي وهبه الله إيّاها كآية سَنِيَّة لصورته.
- يريد الإنسان، **وهذا حقّ بل واجب**، أن يكوّن حياته الشخصيّة والاجتماعيّة ويوجّهها وفقًا لمبادرته الحرّة، مضطلعًا هو شخصيًّا بمسؤوليّتها. فالحريّة لا تتيح للإنسان أن يعدّل على نحو مناسب حالة الأشياء من حوله فحسب، بل إنّها تضبط نموّ كيانه كشخص عبر خيارات متوافقة مع **الخير الحق**:
- هكذا يستولد الإنسان نفسه، **إنّه والد كيانه الذاتي**، وباني النظام الاجتماعي. DES 135

3.ج. كرامة الشخص البشري

- **كرامة** الشخص البشري تكمن في **وحدة** كيانه بأبعاده **العضويّة** (الجسد) **والعاطفيّة** (الحياة النفسيّة) **والعلائقيّة** (الاجتماعيّة والروحيّة).
- بالتالي الخيار الأخلاقي الأساس هو مسار توحيد (unification) وليس مسار فصل وتفكيك (dissociation).

- **مبادئ أساسيّة**
  - لا للاختزاليّة الكيانيّة
  - عدم إفراغ هويّته من الانفتاح على ما يتجاوزه (السماوات – اللامحدود)
  - الكرامة البشريّة تقاوم كل مقاربة انتفاعيّة واستهلاكيّة وتشييئيّة

3.د. هويّة الشخص العلائقيّة

- الإنسان مدعو لتحقيق ذاته على أنّه على صورة الله ومثاله
- وذلك من خلال شبكات علائقيّة مفتوحة قوامها الغيريّة
  - الغيريّة الكيانيّة: الله والإنسان
  - الغيريّة الكونيّة: الأصناف والأجناس
  - الغيريّة الجنسانيّة: ذكر وأنثى – رجل وامرأة
    هويّة جنسيّة (sexuel) – هويّة مجنّسة (sexuée)
  - الغيريّة النفسيّة (التاريخيّة): الفرادة الشخصيّة
  - الغيريّة الثقافيّة: البناء الفكري والتربوي

4.أ. قدسيّة الحياة الجنسيّة

- قدّوس: منزّه عن كلّ وصف، سرّ بجوهره، منفصل، مختلف، لا يُسبَر غوره...
- الإنسان: على رأس المخلوقات، حسن جدًا، واحدٌ وليس وحيد. مدعوّ لتحقيق ذاته مع الآخر المساوي له في الطبيعة الإنسانيّة، في الكرامة، والمختلف عنه في الفرادة **الجنسيّة والمجنّسة**.
- الغيريّة: هي مساحة تحقيق الإنسان لذاته ككائن علائقي
- الانصهاريّة: عدم الاعتراف بالغيريّة وعدم احترامها

4.ب. بين الانصهار والقدسيّة
الخصاء الرمزي: بين العفّة والزنى

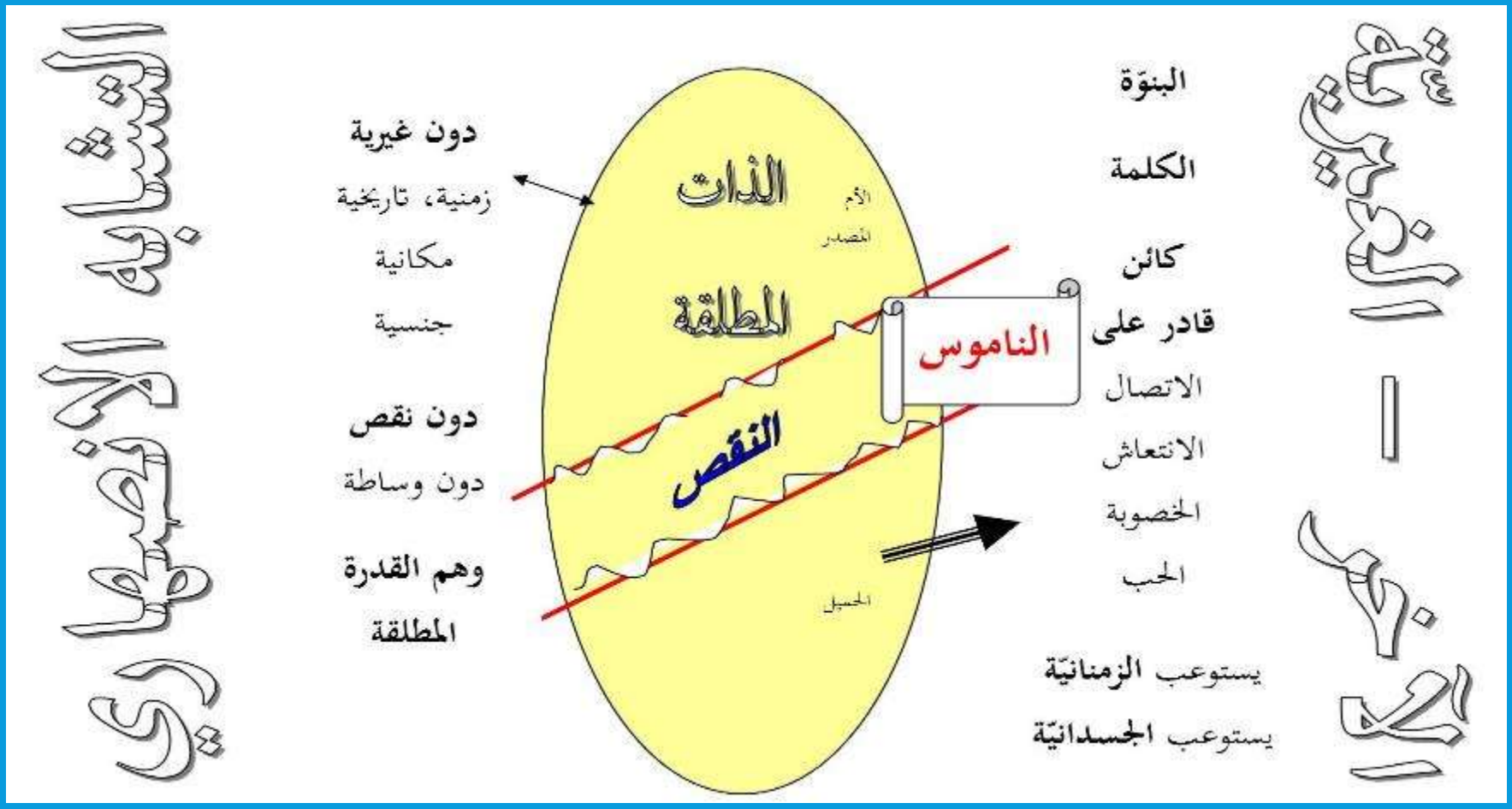

5.أ. المسألة اللاهوتيّة الأخلاقيّة
تأسيس الناموس؟!

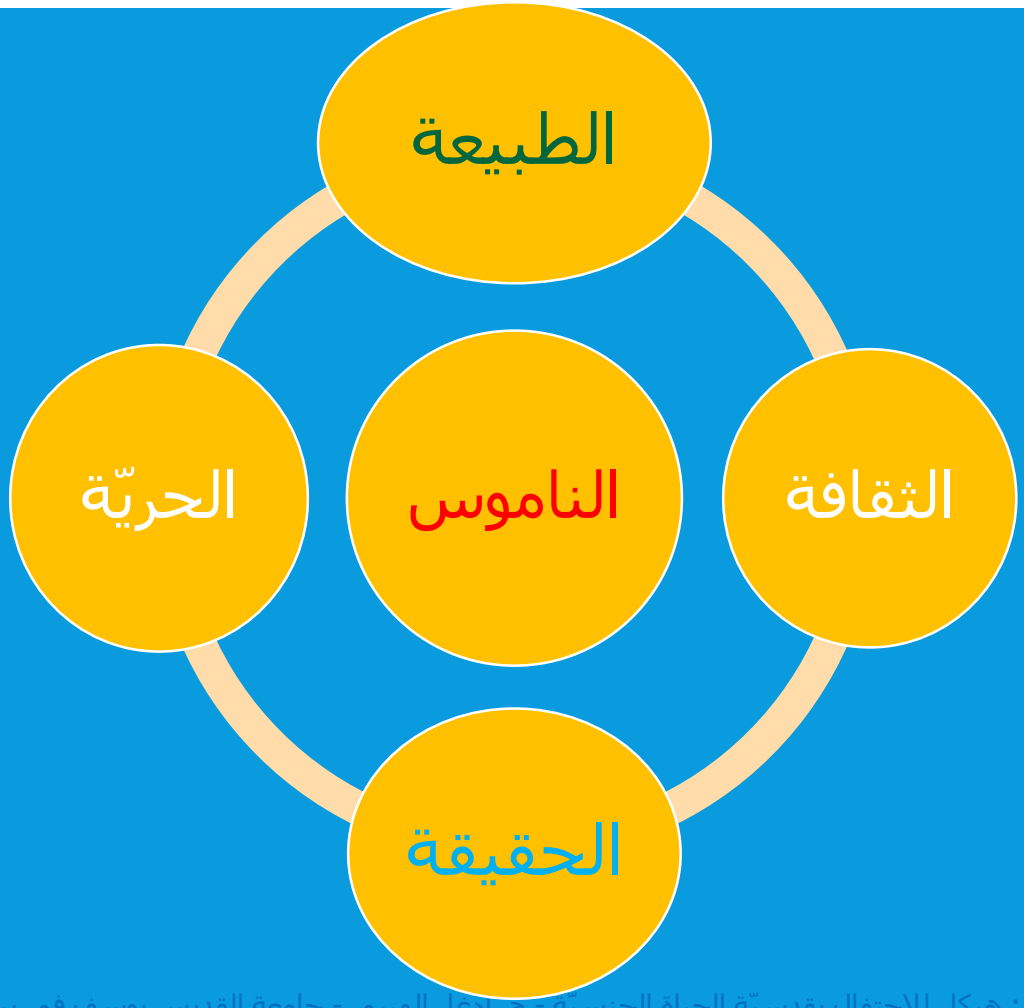

5.ب. الكيانيّة والعدميّة:
الحقيقة في مثلّث الطبيعة والثقافة والحريّة

إنّ احترام الترابط الجذري لمثلّث **الطبيعة والثقافة والحرّيّة** هو أساس التحدّي الإنسانوي والأخلاقي عبر التاريخ.

- أمّا الإفراط في تحكيم المُعطى الطبيعي يؤدّي إلى **الطبيعانيّة** (النزعة الطبيعيّة – naturalisme)،
- والإفراط في تحكيم المُنتَج الثقافي يؤدّي إلى **الثقافويّة** (النزعة الثقافويّة – culturalisme)،
- واختزال الحياة وغاياتها ومعانيها بالحرّيّة يسلِّط **الذاتيّة** (subjectivisme) والفردانيّة.

5.ج. الكيانيّة والعدميّة:
المعنى (الحقيقي!) في مثلّث الطبيعة والثقافة والحريّة

- يشهد العالم اليوم على تحالف الثقافويّة مع الذاتيّة. وهذا يقوّض أساس الإثنين معًا، ألا وهو المُعطى الطبيعي بحدّ ذاته.
- إنّ مبدأ الفلسفة الوجوديّة القائل بـ "الوجود قبل الجوهر" أسّس لإعطاء الحريّة والوعي أولويّة مطلقة على الطبيعة والجسد. وأصبحت هذه الأولويّة مرجعًا وحيدًا **للأخلاق البنائيّة! وكأنّ المعنى يأتي من عدم!**
- إنّ الفكر المتوازن يربط بين الطبيعة والثقافة، ولا يعتبرهما متضادّين. فإذا لم يكن الجسد كلّ شيء، فهذا لا يعني أنّه لا شيء. **فالمعنى هو نتاج تفاعل هيرمينوطيقي بين الطبيعة (الجسد) والثقافة والحريّة.**
- بالنسبة لبعض الناس، الحقوق هي مجرد ترجمة للحريّات الفرديّة، ممّا يؤدّي بهم إلى رفض أي معيار مشترك، على الأقل في مجال الحياة الخاصّة.

5.د. علاقة الحريّة بالحقيقة وبالناموس الطبيعي أي المعنى بين المعرفة الوضعيّة والبنائيّة

- يؤدّي الإنسان، لدى ممارسته **حريّته**، أعمالًا أخلاقيّة خيّرة، وبنّاءة لشخصه وللمجتمع، عندما يطيع **الحقيقة**، أي عندما لا يدّعي نفسه خالق هذه الحقيقة، وسيّدها المطلق، وسيّد المعايير الأخلاقيّة كما تفعل المقاربة البنائيّة.
- إنّ ممارسة الحريّة تستتبع الرجوع إلى **ناموس أخلاقي طبيعي، عميمي الطابع**، يتقدّم جميع الحقوق والواجبات ويوحّدها. والناموس الطبيعي، الذي يؤسّس لمعرفة وضعيّة، هو نور العقل الذي ينطوي على مشاركة في ناموس الله الأبدي.

6.أ. الجسد في اللاهوت المسيحي: موقع لاهوتي

بحسب لاهوت الخَلق

الإنسان هو بكلّيّته خليقة الله الحسنة.

هو على صورته ومثاله، كذكر وأنثى، كروح وجسد. والجسد ليس حالة طارئة على وجوده،

بحسب الأنتربولوجيا البيبليّة

الإنسان، ليس نفسًا متجسّدة (âme incarnée)، بل هو جسدٌ مُحْيَى (corps animé).

وبحسب لاهوت التجسّد

الجسد هو مقرّ كريم للألوهيّة، أيّ أنّ الجسد، ببعده المادي، هو مقام ومسكن روحي بامتياز. هذا صحيح بالمعنيين الخرسطولوجي (لاهوت المسيح) والأنتربولوجي (علم الإناسة) على السواء.

وقد عبّر اللاهوتي الكبير كارل راهنر عن هاتين المقاربتين المتكاملتين بقوله "إنّ لاهوت المسيح هو علم إناسة مكتمل، وأنّ علم الإناسة هو لاهوت المسيح ناقص"، أي في طور الاكتمال.

6.ب. الجسد هو هيكل الاحتفال بقدسيّة الحياة الجنسيّة على وقع غيريّة لا تُختَزَل

- إنّ إحياء الجسد بالروح (لاهوت الخلق)، من ناحية،
- وتجسّد الله–الكلمة بالجسد (لاهوت التجسّد)، من ناحية أخرى،
- يكشفان حقيقة واحدة، ألا وهي أن الإنسان، نفسًا وجسدًا، ذكرًا وأنثى، هو بكلّ كيانه وشخصه تجلّيًا لهويّته الروحيّة. في كلّ الحالات، تعكس هذه الحقائق الإيمانيّة واللاهوتيّة جوهر الطبيعة الإنسانيّة على أنه هبة تستقبل ذاتها من غيريّة، وهذا الاستقبال هو، في آن، حركة جسديّة ووجدانيّة (ثقافيّة)، طاقتها روحيّة، واسمها حريّة. حريّة لا تأتي من العدم ولا تنتهي بالمطلق، إنّما تولد من عطاء، وتُستَقبَلُ في ذات، وتتبلور في شبكات علائقيّة، وتتجلّى، في كلّ شخص، إنسانيّة.
- **بهذا المعنى، الجسد هو هيكل الاحتفال بقدسيّة الحياة الجنسيّة على وقع غيريّة لا تُختَزَل.**

خلاصة: الجسد هو هيكل الاحتفال بقدسيّة الحياة الجنسيّة على وقع غيريّة لا تُختَزَل

غيريّة عضويّة جنسيّة

غيريّة نفسيّة

كيان روحي

مطلق

غيريّة اجتماعيّة

غيريّة ثقافيّة

7.أ. تطبيق على المثليّة الجنسيّة والجندريّة
الفرق بين الجندر (GENRE) والجنس (SEXE)

- الجنس: مفهوم يعتمد على مؤشّرات بيولوجيّة وعضويّة وحيوانيّة للذكر أو للأنثى
- الجندر: مفهوم يعتمد على مؤشّرات مركّبة، ثقافيّة وسياقيّة (تاريخيّة وتربويّة وشخصيّة وعلائقيّة)، وتوصّف دورًا اجتماعيًّا (وشرعيًّا)
- الهويّة الجنسيّة هي الإثنين معًا دون مزج ولا فصل ولا اختزال. التمييز بين الجنس والجندر يساعد على فهم الهويّة وتفاعل مركّباتها، لا سيّما بما يتعلّق بتأثير التربية (الثقافة) على بناء البُعد الجنسي (الجسدي) ونموّه، أمّا الفصل بينهما فيؤدّي إلى دمار الهويّة بأكملها.

7.ب. المعضلة التي تطرحها الجندريّة
إلغاء الـمُعطى الطبيعي لصالح البنائيّة المطلقة

- في اعتبار الاختلاف الجنسي على أنّه نزاع قوّة وسلطة. بالوقت أنّ الاختلاف الجنسي يُقاس أيضًا كدعوة للانفتاح على الآخر والامتنان لغيريّته، وهو يشكّل بحدّ ذاته أساسًا للعلائقيّة والتبادليّة والتكامليّة الخصبة.
- في اعتبار مفهوم الطبيعة مناهضًا لمفهوم الثقافة. بالوقت أنّ الـمُعطى الطبيعي في الموجودات ككلّ، وعند الإنسان بشكل خاص، هو الوجه الجذري الأنقى لواقع الإنسان وحقيقة كيانه، حيث على الثقافة أن تبحث وتفهم وتمنطق وتعقلن هذه الحقيقة، وحيث عليها أن تنمو في تناغم مع طبيعة الأشياء والعمل على صقلها كجزء لا يتجزّأ من دعوتها المعرفيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة.

7.ج. موقف أخلاقي جوهري من الإيديولويجيّة الجندريّة

- الثقافة الإنسانيّة هي بجوهرها من طبيعته، أي طبيعيّة، كما الطبيعة البشريّة هي بجوهرها معرفيّة وثقافيّة. وكلّ اختزال يؤدّي إلى دمار الإثنتين معًا. في هذا الإطار، يأتي تغييب الجسد كتعبير عن هذا الاختزال التي تقوم به الجندريّة بحقّ المُعطى الطبيعي وما يحمله لنا من ركائز وشواهد عن حقيقة الإنسان وعن ماهيّة الاختلاف الجنسي وغنى مدلولاته.
- الاختلاف الجنسي (الجنس) هو بطبيعته دعوة للإنسان للنموّ بالمحبّة والانفتاح والحريّة والتكامل العلائقي، في عالم تكوّنه الغيريّات المتنوّعة على خلفيّة وحدة الأصل ووحدة المصير، عبر تشابك المحدوديّات وترابطها، وليس عبر نكرانها وإلغاؤها وتنافرها.

لائحة المراجع
Bibliographie

- **Congrégation pour l'éducation catholique** (pour les Institutions d'enseignement), *Il les créa homme et femme. Pour un chemin de dialogue sur la question du genre dans l'éducation*, Cité du Vatican, 2019
- BEDORET Jean-Marie, « Sommes-nous propriétaire, locataire ou usufruitier de notre corps ? », Hegel 2017/3 (N° 3), p. 240 – 244
- LACROIX Xavier, « À propos de la « gender theory », Laennec 2014/3 (Tome 62), p. 31 – 42
- LACROIX Xavier, « Naissance : pourquoi valoriser le corps ? » Laennec 2013/4 (Tome 61), p. 19 – 25
- LACROIX, Xavier : « Suffit-il d'aimer ? Ressources et limites de l'interprétation intersubjective de la sexualité », *Revue d'éthique et de théologie morale. Le Supplément*, 215, déc., 2000, p. 5-28
- LACROIX, Xavier, Ed. : *L'Amour du semblable*, Paris : Cerf, 2001², 232
- LACROIX Xavier, *Le corps de chair, Les dimensions éthique, esthétique et spirituelle de l'amour*, Coll. « Recherches morales. Synthèses », Paris : Cerf, 1994², 380
- الهبي إدغار، "التربية الأخلاقيّة وقبول الآخر، مقاربة مسيحيّة"، ***أبحاث ودراسات تربويّة***، *مجلّة محكّمة متخصّصة في الفكر التربويّ الإسلامي والمقارن*، العدد الخامس، السنة الثالثة، صيف 2017 م، 1438 هـ، ص. 115-153
- الهبي إدغار، "العدالة حاجة إنسانيّة واجتماعيّة، رؤية مسيحيّة"، ***الحياة الطيّبة***، مجلّة محكّمة متخصصة تُعنى بقضايا الفكر والاجتهاد الإسلامي، السنة الحادية والعشرون، العدد السابع والثلاثون، صيف 2017 م، 1438 هـ، ص. 49-89